

الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وَاعْتَصِمُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ عِبَادَاتِ الْمُحِبِّينَ، وَأَجَلِّ طَاعَاتِ الْمُتَّبِعِينَ: دُعَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ، فَهِيَ الْعِبَادَةُ حَقًّا، وَالطَّاعَةُ صِدْقًا؛ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ]، عِبَادَةُ كَرِيمَةٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمُحِبُّونَ لَهُ سُبْحَانَهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَوَاطِنِ الدُّعَاءِ، وَالِاتِّجَاءِ إِلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ: زَمَنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَزْمَاتِ، وَخُلُوقِ الشَّدَائِدِ وَالْمَلِمَاتِ، حِينَمَا تَنْزِلُ

رضي الله عنهما قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَاذَا يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَّرَمَّهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَهَكَذَا كَانَ حَالُ الْأَمْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَعْتَنُونَ بِأَمْرِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْحُرُوبِ، وَاشْتِدَادِ الْمَحْنِ وَالْكَرْبِ، فَهَذَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا صَافَّ الْمُشْرِكِينَ وَهَالَهُ أَمْرُهُمْ، سَأَلَ عَنِ التَّابِعِيِّ الْعَابِدِ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ فَقِيلَ: هُوَ ذَاكَ فِي الْمَيْمَنَةِ، جَامِحٌ عَلَى قَوْسِهِ، يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «تِلْكَ الْإِصْبَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ شَهْرٍ، وَشَابِ طَيْرٍ»، وَهَذَا أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ لَمَّا قَاتَلَ الْفُرْسَ خَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: «اسْتَنْصِرُوا اللَّهَ، إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ الْعَبْدَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَى اللَّهِ إِذَا

بِالْمُسْلِمِينَ النَّوَازِلِ، وَتُحِيطُ بِهِمُ الْمَحْنُ وَالْبَلَابُ، حِينَئِذٍ يَفْرَغُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَلْجَأُونَ إِلَى خَالِقِهِمْ، يَدْعُونَهُ دُعَاءَ الْمَلْهُوفِينَ، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ تَضَرُّعَ الْمَكْرُوبِينَ، يَعْلَمُونَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَاصِرُ الْمُسْتَنْصِرِينَ، وَمُجِيرُ الْمُسْتَجِيرِينَ، وَأَنَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، لَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بِيَدِهِ الْأَمْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَاللُّجُوءُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْدُّعَاءِ، وَالِاسْتِئْصَارُ بِهِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ الْأَعْدَاءِ: سُنَّةُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَسَبِيلُ الْأَصْفِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ، حَكَى اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ فِي مَوَاطِنَ مِنْ كِتَابِهِ، وَامْتَدَّحَهُمْ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ، فَقَالَ عَنْ طَالُوتَ وَمَنْ مَعَهُ: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وَأُخْبِرَ عَنْ حَالِ النَّبِيِّينَ وَاتَّبَاعِهِمُ الصَّالِحِينَ فَقَالَ: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٧].

مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ: وَهَكَذَا كَانَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحُرُوبِ، يُلِحُّ عَلَى اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ بِضِرَاعَةٍ وَانْكَسَارٍ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

وَصَرَ جَبْهَتَهُ لِلَّهِ، وَإِنِّي نَازِلٌ وَوَاصِعٌ جَبْهَتِي، فَادْعُوا اللَّهَ وَاسْجُدُوا لِرَبِّكُمْ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»، فَفَعَلُوا ثُمَّ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ تَعَظِيمًا وَاجْتِلَالًا لَا يَسْتَقِيلُ شَأْنَ الدُّعَاءِ، وَلَا يَسْتَهِينُ بِمَقَامِ الْإِعْصَامِ وَالِاتِّجَاءِ، بَلْ يَدْعُو اللَّهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِصِدْقِ وَعْدِهِ، مُحْسِنٌ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ، وَاتَّقَى مَعِيَّتَهُ لِأَوْلِيَانِهِ وَعِبَادِهِ، مُوقِنٌ أَنَّهُ تَعَالَى مُجِيبُ دُعَائِهِ وَنَاصِرُ دِينِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

بَارِكْ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وَلَا تَنْسُوا إِخْوَانَكُمْ الْمُجَاهِدِينَ، وَجُنُودَكُمْ الْمُرَابِطِينَ، وَرِجَالَ أَمْنِكُمْ الْعَامِلِينَ، فَإِنَّهُمْ رِجَالٌ يَدْفِعُونَ عَن بَلَدٍ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، وَيُعِزُّ أَهْلَهُ الدِّينَ وَالْمِلَّةَ، بَلَدٍ يَزْعَى وَلائُهُ الْمُصَلِّينَ وَالْعَابِدِينَ، وَيَشْجَعُونَ عَلَى حِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ الْمُبِينِ، لَا تَنْسُوا الدُّعَاءَ لَوْلَاةِ أُمُورِكُمْ وَالْمَسْئُولِينَ الْقَائِمِينَ عَلَى حِمَايَتِكُمْ، وَالسَّاهِرِينَ عَلَى رِعَايَتِكُمْ وَدَفْعِ الْأَشْرَارِ عَنْكُمْ، قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً مَا صَيَّرْتُهَا إِلَّا فِي الْإِمَامِ»، فَأَكْفُفِ الشُّيُوخَ الْمُتَضَرِّعَةَ الْمَرْفُوعَةَ، وَالسُّنَّةَ الْعَجَائِزَ الْأَلَهَجَةَ بِالدُّعَاءِ، وَقُلُوبَ الصَّادِقِينَ الْمُتَوَقِّينَ بِاللَّهِ؛ خَيْرٌ مُعِينٍ لَهُمْ وَأَعْظَمُ ظَهِيرٍ فِي نَصْرِهِمْ، فَالْجِهَادُ يَكُونُ بِالدُّعَاءِ كَمَا يَكُونُ بِالْيَدِ وَالسَّلَاحِ، فَاللَّهُ اللَّهُ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، خَاصَّةً عِنْدَ اشْتِبَاكِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَعْدَاءِ الْمُجْرِمِينَ، وَالتَّحَامِ الْمُوَحِّدِينَ بِالظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَنْتَانِ لَا تُرْدَانِ، أَوْ قَلَمًا تُرْدَانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ التَّدَايِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَجْرٍ].

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ: الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ، وَتَكَرَّرُ السُّؤَالِ، وَالْإِكْتَارُ مِنَ الطَّلَبِ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ؓ: «مَنْ يُكْثِرُ الدُّعَاءَ يُوشِكُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ»، فَتَمَتَّى أَظْهَرَ الْعَبْدُ فَاقَتَهُ إِلَى رَبِّهِ، وَاضْطَّرَّ إِلَى رَبِّهِ، وَافْتَقَرَهُ إِلَى نَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ؛ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، وَكَانَ سُبْحَانَهُ مَعَهُ؛ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]. وَهَا هُوَ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّقَمُّهُ الْحَوْثُ فِي ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ، فَمَا أَيْسَ مِنْ دُعَاءِ رَبِّهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَبْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجَيِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

عِبَادَ اللَّهِ: اجْتَهِدُوا بِالدُّعَاءِ، وَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ وَمُدَبِّرِ أُمُورِكُمْ فِي حِمَايَةِ دِينِكُمْ وَعَقِيدَتِكُمْ وَوَطَنِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، وَخُثُوا أَهْلِيكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَضِعْفَاءَكُمْ، فَفِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا؛ بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ» [رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَأَصْلُهُ فِي الْبُخَارِيِّ].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، وَارْضَ عَن أَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا، وَأَنْصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا، وَاهْدِنَا، وَيَسِّرْ لَنَا، اللَّهُمَّ احْفَظِ الْكُوفَةَ وَأَهْلَهَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَكْرُوهٍ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا مُطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ احْفَظْ إِخْوَتَنَا مِنَ الْمُرَابِطِينَ وَقُوى الْأَمْنِ وَالِدِفَاعِ وَالْحَرَسِ الْوُطْنِيِّ وَجَمِيعِ الْقَائِمِينَ عَلَى أَمْنِ الْبِلَادِ، وَتَبَّتِ الْأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ، اللَّهُمَّ وَفَّقْ أَمِيرَنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا نُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمَا لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.